الخبر: النوع والبنية بين التاريخية والنسقية الثقافية والحكائية
-قراءة في النقد العربي الحديث-

د. نجاة وسواس

جامعة سيدي بلعباس

الملخّص:

الخبر واحد من الأنواع السردية العربية التي لم تحظ بالاهتمام البالغ في الدراسات العربية الحديثة على الرغم مما أثير حوله من إشكالات، وتحديدا تلك المتعلقة بكونه أصلا للسرد العربي (القائم على هذه السمة الإخبارية) والتداول والتوارث الشفهي له، أو تلك التي ارتبطت بانتمائه إلى باب السرد وعدّه نوعا سرديا كونه يتقاطع في بعض جوانبه مع التاريخ أو يقدم كاملا واقعة تاريخية، ما جعل مسألة تجنيسه من أصعب الإشكالات المثارة حوله في النقد الحديث، أو تلك التي تعلقت بكونه نسقا ثقافيا أسهم بشكل ما في تشكل أنواع أو تفسيرها كالخطابة و الأمثال عموما .

The novel, one of the Arab narrative species that have not received the attention of the modern Arab studies Despite what was raised around it problematic, specifically those related to originally being Arab narrative (based on this attribute newsletter) and trading verbal and inheritance to him, or those associated with belonging to the narrative His promise some sort narrative being intersected in some respects with the date or complete offers a historical reality, making the issue of naturalization of the most difficult problems raised around him in modern criticism, or those related to being a cultural pattern shares in some way in the form types or interpretation « Kalkhtabh » and proverbs.

*** *** ***

يتعدى الحديث عن الخبر في النقد العربي الحديث مجرد التأسيس لنوع أدبي إلى الحديث عن قاعدة أو مرجعية للكتابة السردية العربية القديمة عبر مراحل تشكلها الممتدة، ومن ثم مثلت "الخبرية" بينة قارة في جميع نصوص السرد العربي، حتى تلك القائمة على التخييل. تقوم هذه الإخبارية* بالتأطير لحدث أو واقعة معينة، عادة ما يكون سردها جوابا لطلب من جهة محددة. فالعربي مجبول على حب الإخبار والاستخبار كما ورد في إحدى رسائل الجاحظ، وأنهما الظاهرتان اللتان انتقلت بسببهما كثير من الأخبار العربية القديمة واستمرت عبر التاريخ العربي[1] . فالخبر أكثر من مجرد ظاهرة، إنها أصل الحياة، يعلن الخبر في كل مرة يروى فيها مظهرا من مظاهرها ومعنى من معانيها هو معنى الاستمرارية.

حاولت الدراسات العربية المقدمة حول النوع الخبري على الرغم من قلتها الإلمام بمختلف قضاياه والظواهر المحيطة به، على الرغم من ذلك التداخل الذي قد يمس الحديث عن الخبر مع الأنواع الأخرى، سواء تلك التي تختلف عنه من حيث الطبيعة وتتماثل معه في سمة الإخبارية، أم تلك التي تنضوي تحته على أنها أخبار تتباين من حيث موضوعها وتتماثل في الشكل. ففصّلت هذه الدراسات في مسائل الإسناد والشفاهية وتحديد تخوم هذا النوع وتداخلاته مع أنواع وأجناس أخرى، وكذا صيغته الاصطلاحية.

-الخبر: الاصطلاح والنوع في النقد العربي الحديث:

يعد مصطلح الخبر من المصطلحات العربية التي أثير حولها بعض الجدل لكونه مصطلحا يتجاذبه أكثر من مجال ، ولتداخله –في مجال الأدب- مع مصطلحات أخرى ، وكذا لتداخل هذا النوع مع غيره من الأنواع. وإذا كان مفهوم الخبر يبدو إلى حد ما واضحا كونه يجسد النبأ أو القول الذي ينقل حادثة معينة، إلا أن طبيعة الحدث في حد ذاتها المتمايزة بين التاريخية والتخييلية والدينية والهزلية والجدية هي التي تدفع إلى البحث في الفروقات اللغوية والنوعية بينه وبين أنوع أخرى، حيث يمكن حصر أهم المصطلحات التي دارت في فلكه من خلال الدراسات العربية الحديثة وتداخلت معها في : القصة التاريخية /الواقعية – النبأ – الحديث –الحكاية –القول –النادرة .

تؤسس معظم الدراسات العربية لمصطلح الخبر وتحدد ماهيته بالمقارنة مع المصطلحات الأخرى، وإذا كان التعريف بالمقارنة يحيل إلى أبرز الفروقات وأهمها الماثلة بين مصطلح الخبر وبقية المصطلحات بما ينضوي تحتها من مفاهيم، إلا أنه لا يقود إلى حد ما إلى ملامح هذه الظاهرة، في حين تتجاوز بعض الدراسات، وتحديدا تلك التي لا يؤسس أصحابها لمواقفهم الخاصة بالاستناد إلى نظرية الأجناس الأدبية، تلك الفروقات لتطابق هذه المصطلحات بالخبر، و ينبغي تحديدها هنا في تلك الدراسات الصادرة في خمسينيات القرن المنصرم، إذ لم يول فاروق خورشيد مثلا اهتماما كبيرا بالاصطلاحات وتمايزاتها ووضعها جميعا تحت خانة واحدة "قصص" ، فكل ما تداوله العرب قديما للسمر سواء أكان تاريخيا أم متخيلا عدّه قصصا دون التمييز بين طبيعة كل منها، حيث إن "من أشهر قصصهم أيام العرب ..كما كان للعرب أحاديث هوى تتناقل و تروى كقصة المتخيل اليشكري و المتجردة زوجة النعمان .. مما ملأ الكثير من صفحات الأغاني ، و عرف العرب قصصا تتناول بالتفسير المطعم بالبقايا الأسطورية الحياة والخلق ، فحكوا الحكايات عن نشأة العالم "[2].

يبدو للمتأمل في رأي خورشيد أنه تضمن أكثر من مصطلح ساواها بالخبر والقصة، وإن لم يذكر مصطلح الخبر وأشار إليه فحسب، إذ إن حديث الهوى خبر وأيام العرب وما يملأ كتاب الأغاني - وهذه عبارة عن أخبار كما ورد في كتب التاريخ والأدب ومعظم الدراسات الأدبية- وكذلك الخرافة التي عادة ما تقدم على أنها بقايا أسطورة ، والحكاية والتاريخ، ومعلوم أن نظرية الأنواع وكثير من الدراسات الأدبية جعلت بين هذه المصطلحات بعض الفروقات .

لا يقتصر الاضطراب الإصطلاحي على تلك الدراسات التي لا تعير أهمية للحدود الموجودة بين نوع وآخر، وإنما تعداه كذلك إلى بعض الدراسات التي قدمت نفسها على أنها تعطي تمييزا بين الأنواع السردية العربية القديمة، وبخاصة تلك التي تنضوي تحت لواء النوع الخبري، حيث تمثل دراسة موسى سليمان أبرزها، أفرد فيها بابا اصطلح عليه بـ"القصص الإخباري"، يضم هذا النوع: القصص الفكاهية، الاجتماعية، الأسطورية، الخرافية، والتعليمية والغنائية والحبية[3]. وللمتلقي أن يتساءل ههنا هل الخبر بهذا العموم ليضم الأسطورة

والخرافة أيضا؟ أم أن هذا التمييز يستند إلى القاعدة القائلة بخبرية السرد العربي القديم عموما؟ وإذا كان كذلك فلماذا ميز النقد (والمقارن منه تحديدا) الخرافة والأسطورة وغيرهما كأنواع مستقلة لاختلاف طبيعة كل منهما هم طبيعة الخبر لما يمتاز به هذا الخبر من إيجاز واقتصاد.

الاضطراب نفسه يظهر في تحديد محمد رجب النجار لماهية الأدب الشطاري، على الرغم من إصراره على التمييز بين الأنواع السردية، حيث يدرج ضمن هذا النوع من الأدب الحكايات والنوادر والأخبار[4]، متجاوزا من ناحية ما الفروق الماثلة بينها، ومن ناحية أخرى فهذا النوع من السرد قد ورد في شكل سيرة طويلة كسيرة علي الزيبق مثلا، وأن المقامات العربية هي نوع من الشطارة والعيارة، فهو لا يقتصر على تلك الأشكال الثلاثة التي حددها، وإنما يتعداه إلى غيرها، دون أن يورد أيضا هل النادرة خبر أو أيهما أعم من الآخر.

ومن شأن هذا التعدد والتداخل المصطلحي- الذي يوجد في عديد التصورات العربية- بين المفاهيم أن يحدث بعض الاضطراب في النقد عموما، فتغدو كثير من المصطلحات متشابهة وبل واحدة، توقع متلقيها في بعض اللبس والحيرة لدى تمييز النوع الخبري عن بقية الأنواع السردية أو لدى إحصائه الأنواع التي يمكن أن تتفرع عنه .

لئن كان الخبر من الأنواع السردية المتداخلة والمعقدة إلى حد ما فإن فدوى مالطي دوغلاس سعت إلى تبسيطه من خلال اعتماد مصطلح الحكاية دون الخبر حين قراءتها لكتاب البخلاء، وعلى الرغم من أن ما يتضمنه البخلاء ليس أخبارا فحسب إنما نوادر أيضا في غالبيتها، لما فيها من حس فكاهي ساخر، تجمع بينها ظاهرة أساسية يدور حولها الحدث، عادة هذه الحكاية "وحدة سردية مستقلة بذاتها تجسم فعلا أو حادثا ما يتبين أن شخصا أو أشخاصا أو جماعة أو طبقة من الناس سواء لهم الصفة التاريخية أم لا يتصفون بصفة البخل"[5]. هذا التعريف في جانبه البنوي –بغض النظر عن الجانب التيمي منه- سيكون له أثر كبير واسع في صياغة مفهوم - وإن كان محدود المعالم كونها قدمته في إطار تحديدها لماهية حكاية البخل- للخبر في الدراسات العربية التي ستلحق فيما بعد.ففرادة الحدث

ووحدته تحيل إلى أن الناقدة لم تقصد بمصطلح الحكاية سوى الخبر الذي ستقدمه تلك الدراسات بوصفه وحدة حكائية موجزة صيغة وموضوعا.

ما ينبغي الإشارة إليه أيضا من الناحية الاصطلاحية أن تلك السمة التاريخية/الواقعية التي طبعت الخبر في الثقافة العربية، وتحديدا في فترة ما قبل الإسلام، حددت توجه بعض الدارسين العرب في تسمية هذا النوع، فالأخبار في فترة سابقة كانت نوعا من التأريخ لبعض الحوادث العربية كأخبار الشعراء والأبطال والملوك، على أن سيرورته زمنيا لم تفقده هذه السمة كون معظم الأخبار التي حملتها المصنفات العربية القديمة لم تحمل سمات خرافية أو أسطورية عدا تلك التي تضمنت أخبار الشعراء وعلاقتهم بالجن التي عدها العرب قديما حقيقة واقعة*.

يبدو الحديث من ناحية أخرى عن مصطلح الخبر في الدراسات العربية الأكثر حداثة متشظيا نوعا ما ومتشابها من دراسة لأخرى، فأما التشظي فلكون أي دراسة لا تحدد المصطلح إلا بالمقارنة مع غيره من المصطلحات، وأما التشابه فيتجلى من خلال أسس وخلفيات المقارنة المتشابهة من دراسة لأخرى، حيث تستند هذه الدراسات إلى الأساس نفسه ممثلا في المفهوم اللغوي لمصطلح الخبر وباقي المصطلحات والفروقات الموجودة بينها، ثم تنتقل إلى المفهوم الاصطلاحي المتداول وتطور هذه اللفظات في الثقافة العربية. ويبدو أن هذا هو الأساس الوحيد الذي ميزت من خلاله هذه الدراسات بين مصطلح الخبر وغيره .وإذا كانت بعض الدراسات قد أصرت على تقديم تأسيس خاص بنوعية الخبر فإن بعضها الآخر تجاوزت هذا التأصيل النوعي والتأسيس الاصطلاحي إلى التعامل مع النص الخبري مباشرة[6].لذلك يمكن القول إن معالم النوع الخبري من خلال التأسيسات المقدمة في الدراسات العربية الحديثة لم تتجل بشكل محدد، إذ إن معظمها لم تقدم سوى الإطار الفني العام الذي تجلى الخبر ضمنه (نقل واقعة معينة) ولا تعطي أي تفصيلات حول النص الخبري، إلا فيما تعلق بالمتون التي كانت محل تحليلها. لذلك يتبعثر متلقي تلك الدراسات قليلا بسبب هذه المقارنات، فبين تجلي الملامح الخبرية في دراسة ما وعدم اكتمالها في أخرى يقع بعض الالتباس، كذلك

الأمر فيما يخص جنسية الخبر وهل هو جنس أم نوع اضطراب آخر، وأيضا فيما يخص طبيعة هذا الخبر وهل هو إعادة صياغة للتاريخ أو أنه متخيل، وإن كانت هذه المسألة وقفا على مسألة جنسيته .

يبرز من خلال تتبع معالم التأسيس النقدي العربي الحديث للنوع الخبري ذلك الاضطراب الذي مسّ ماهيته، على أن معظم الدراسات لم تخرج عما قدمته بعضها الأخرى القليلة التي أسست لهذا النوع. ويبدو أن هذه النماذج القليلة لم تتباين كثيرا في التصورات التي طرحتها حوله، فالتماثل بينها يبرز بداية من خلال المصطلحات التي أثبتت مقاربتها لمصطلح الخبر، حيث قدمت تمييزا بين تلك المصطلحات الأربعة ومدى اتساع أحدها ليشمل الآخر أو ضيقه فينضوي تحته، أو الاستعاضة عنه بغيره .

ولعل التأسيس الذي قدمه سعيد يقطين حين تمييزه بين القول والخبر كان له الأثر الواسع في عدّ الخبر نوعا أدبيا، وتحديدا بعدما استعاض عنه بمصطلح السرد[7]، وإن كان يقطين لم بفصل في مسألة نوعيته إلا أن سعيد جبار الذي استند إلى تمييز يقطين فصل في هذه المسألة وأكد جنسيته .

يرى يقطين أن الاختلاف بين القول والخبر يتجلى من خلال ثلاث أمور: موضوع وزمن والصوت الحامل لكل منهما*، على أنهما يجتمعان في إمكانية تجسيدهما شعرا ونثرا معا، وأن أهم ملمح يتجلى للنوع الخبري من خلال تصوره هو كون الخبر أصغر وحدة حكائية تدخل ضمن تدخل ضمن بنية المحكي أو تجسد لوحدها محكيا، وهذا الصغر هو الذي اضطر يقطين إلى الاستعاضة عن مصطلح الخبر بمصطلح السرد للحديث عن الظاهرة السردية، ثم التمييز بين الحكاية والخبر وتوسيع حدود الحكاية حيث تشمل الخبر كونها مجموعة من الوحدات الحكائية[8]، وبهذا يتجلى من خلال ما قدمه يقطين الملمح الثاني للنوع الخبري هو الإيجاز والاقتصاد الحدثي واللّغوي معا .

هذان الملمحان (الخبر وحدة حكائية والخبر نص موجز) لا يقدمان تصورا شاملا حول النوع ، فلا لا يكاد هذا الطرح أن يعدو كونه تقديما للخبر كنسق ثقافي أسهم في تشكل نصوص السرد العربي القديم والظاهرة السردية عموما،

كونه أصغر وحدة حكائية، على أن سعيد يقطين لم يشر مثلا إلى مسألة تعدد الوحدات الحكائية (الخبرية) في نص سردي وإمكانية إخراجه من النوع الخبري.

يبدو أن سعيد جبار لا ينأى كثيرا عما قدمه أستاذه سعيد يقطين حين استناده إلى تصوره فيما تعلق بالكلام العربي، لذلك كان تحديده لمفهوم الخبر مماثلا لذلك الذي قدمه يقطين، حين جعل منه الوحدة السردية الصغرى التي تتمايز بالبساطة الحدثية وقلة الشخصيات، على أنه وازن بين الخبر والحديث والإنشاد والقول* ، ليستعيض أخيرا عن مصطلح الخبر بمصطلح السرد[9]. ويبدو أن هذا التحديد المقتضب للخبر كان الأكثر تداولا في الدراسات العربية، كونه ملما بكل ملامح النوع.

فصّل سعيد جبار أيضا هو في مسألة جنسية الخبر حيث أشار إلى أن دلالته تجعل منه جنسا عاما، يتضمن مختلف الأنواع السردية الأخرى، ذات الصبغة الخبرية، إلا أن تداوله في الثقافة العربية المرتبط بنصوص ومصنفات معينة نفى عنه هذه الشمولية ليجعله نوعا محددا ومفهوما موازيا لمفهوم القصة، أي كل ما يتضمن معنى الحكائية والخبرية معا، بل إن هذا المفهوم شمله ليصبح الخبر فرعا فيه، ما جعل جبار يعتمد مصطلح السرد، ونظرا لتفرد البنية فيه (مقارنة ببقية الأنواع التي تتميز بتعدد بنياتها وثباتها) لم يتوان جبار عن عَدِّ الخبر جنسا من الدرجة الثانية[10].

إذا كان سعيد جبار لم يوضح معنى جنس من الدرجة الثانية أو ما حدوده أو تباييناته عن الجنس الأدبي العادي، إلا أن هذا التأطير الجنسي الذي قدمه يعدّ إضافة تحسب له، لم تشر إليها أي دراسة أخرى من الدراسات العربية التي إما أعرضت عن مسألة تجنيسه أو نظرت إليه بوصفه نوعا سرديا كبقية الأنواع، أو أنها عاملت الخبر كقاعدة قام عليها السرد العربي القديم، وتتميز أيضا عما قدمه يقطين على الرغم من كونه استند إليه في بناء تصوره حول الخبر بوصفه نوعا سرديا .

ومع هذه الإضافة إلا أن الاضطراب المفاهيمي تجلى أيضا في تصور جبار الذي لم يثبت على رأي فيما يخص هذه المسألة*، ما يجعل متلقيه يلتبس بين عدّ

الخبر جنسا (وإن من درجة ثانية) وبين كونه نوعا ينضوي تحت الجنس السردي، كما أنه يقر مرة باكتماله وأخرى يراه فيها ملتبسا غامضا غير مكتمل، دون الإشارة إلى سبب ذلك أو ملامح نقصه على الرغم من إشارته إلى مسألة الإيجاز. هل الخبر جنس أم نوع وما الفرق بينهما؟ وكيف يكون جنسا في بساطته وكيف يتحول إلى نوع في تطوره؟ ولماذا استعاض عنه بمصطلح السرد؟ كل هذه الإشكالات تتحول إلى معوقات عند السعي إلى رسم صورة خاصة بالطرح الذي قدمه جبار ومعه يقطين، إذ إن كليهما طرحا بعض المسائل التي ظلت عالقة من ناحية ومتداخلة اصطلاحيا من ناحية أخرى. ولئن أصرّا من خلال تصوريهما على أن الخبر موجود في كل نص سردي عربي قديم (ما يجعل الخبرية أصلا للظاهرة السردية العربية) إذ إن الوحدة فيه خبرية قابلة للانفتاح والتطور والتعدد والتحول إلى عمل سردي يتضمن وحدات أخرى، إلا أنهما تغافلا عن مسألة لا يمكن تجاوزها في دراسة الخبر في الثقافة العربية هي صحة وتاريخية الخبر وكذا إنتاجيته وتحوله من طبيعته التاريخية إلى متخيل من خلال فعل الرواية .

لم تقدم الدراسات الأخرى التي اتبعت نهج يقطين وجبار إضافة تحسب فيما يخص خروج الخبر من بعده التاريخي إلى التخييل، إلا فيما تعلق ببعض المتون التي اشتغلت عليها. إلا أن مسألة فاعلية الخبر وانتظامه ضمن مجموعات/منظومات خبرية أثار مسألة خروجه من التاريخ إلى المتخيل وكذا خروج هذه المنظومات الخبرية من النوع الخبري إلى أنواع سردية أخرى، ولهذا عدّ الناقد حمزة لؤي عباس ضمن حديثه عن هذه الفاعلية الخبر أقرب إلى كونه نسقا ثقافيا أسهم في الحركة السردية العربية قديما، وأقام مع مختلف الأنواع السردية صلات، بل إنه يكاد يكون مرجعا لبعضها كالسير وقصص الأمثال التي يختفي وراءها خبر معين *، حيث إن هذه الأنواع تبنى وفق تجميع غير محدد من الوحدات السردية المختلفة الجذور، إلا أن مادتها خبرية، وفاعلية الخبر هذه التي تكمن في إمكانية تحوله وتداخله تمنحه موقعا ذا أهمية بالغة ضمن السردية العربية كونه النوع الأكثر إسهاما في صياغة أنواع أخرى تكون وحدتها الأساسية خبرية، تتحكم هذه الفاعلية بشكل ما في إمكانية إعادة دراسة تاريخ السرد العربي

بوصفه مجموعة من التحولات الشكلية بالدرجة الأولى للأصل الخبري، انطلاقا من أن أصل نصوصه أخبار مفردة، تحولت بتأثير أنساق ثقافية إلى منظومات خبرية[11] .

إذا كانت مسألة البعد التاريخي للخبر من المسائل التي لم يعن بها النقد العربي الحديث كثيرا كونه يتعامل مع نص سردي مادته حكائية متخيلة افتراضا، وكذا بسبب انتحال كثير من الأخبار ونسبتها إلى أشخاص واختراع رواة لها، فإن لؤي حمزة عباس يرى أن انتقال الخبر من الإفرادية إلى المنظومة صاحبه نوع من التحول في طبيعته، حيث إن المسحة التاريخية التي تعلقت بالخبر المفرد تتراجع نوعا ما مع ذلك الانتقال، ويرى أن عملية الانتقال أو التحول تتم وفق ثلاث مراحل هي الإخبار والتمثيل والتخييل، لتتقلص مساحة الإخبار أو تتضاعف من خلال هذه الفاعلية بغض النظر عن واقعيتها .

بهذا، فإن انتظام الخبر عادة ما يحيل إلى أنواع أكثر تعقيدا، إلا أن بعض المصنفات العربية القديمة تقدم نماذج مختلفة من هذه المنظومات، يصعب حينها تحديد التطور، إذ إن بعضها تقدم أخبارا عن شخصية ما إلا أن هذه الأخبار متناثرة متفاوتة زمنيا، وبعضها تقدم أخبارا حول ظاهرة معينة بحيث تقتني لهذه الشخصية الأخبار التي تخص هذه الظاهرة ... ما يحيل إلى أن هذا التطور في النوع الخبري لا يضمن دائما خروجا عنه، وإمكانية تدخّل أمور أخرى غير هذا الانتقال كالخروج مثلا عن النمط المألوف إلى النمط العجائبي، الذي ميز معظم نصوص السرد القديم، وإن كانت بعض النصوص الخبرية على إيجازها تحوي هذه العجائبية كنصوص المنامات والرؤى، ولذلك ظلت هذه المسألة – الفاعلية- رهن ما يرد في النصوص الخبرية في ذاتها، كونها لم تتداول على صيغة واحدة ومضمون واحد و إنما تعدَّدَا مع التداول الشفهي .

لهذا لا يمكن لمتلقي النقد العربي الحديث أن يلمس تعريفا واضح المعالم للخبر عدا ذلك الذي يحيل إلى كونه الوحدة الحكائية الأصغر التي يسمها الإيجاز خطابا وموضوعا، وحتى محمد القاضي من خلال دراسته المقدمة حول الخبر لم يقدم مفهوما محددا له، على الرغم من المقارنات المتعددة للمصطلح مع باقي المصطلحات، بل قدم تصورا حوله من خلال قراءته لمجموعة من الأعمال

النقدية العربية التي خصصت حيزا ضمنها للسرد العربي القديم، أو من خلال مجموعة من القضايا التي أثيرت حول الخبر الأدبي، وأشار من خلال هذا التصور أن الخبر مجموع الأحداث التي تمثل ضربا من المادة الخام التي يعدها قوام السردية قبل تجسدها نصيا، أو أنه عادة يسجل لحظة عابرة، أساسه استخباري فهو يكاد يكون في عمومه طلبيا، تداول في الثقافة العربية شفاهة عن طريق الرواية التي قد يزيد أو يقل عدد الرواة في عملية إسناده، على أنه يتراوح بين الواقع والخيال، وأن الواقع أصل فيه، يرد نثرا كما يرد شعرا[12]. إلا أن القاضي يقدم هذه الملامح من خلا ل تلك الدراسات السابقة، وأنه لم يحسم في أي مسألة منها إلا فيما تعلق ببعض المواد الخبرية التي تضمنها كتاب الأغاني الذي عمل على دراسته .

ومما أشار إليه القاضي فيما يتعلق بالفاعلية أن هذه الوحدة الحكائية قابلة للتناسل والتطور والانتظام في مجموعات[13]، دون أي تفصيل فيها، على الرغم من أنه حلل منظومات خبرية ضمن كتاب الأغاني.

وبغض النظر عن تلك المقارنات المقدمة بين مصطلح الخبر وغيره من المصطلحات السردية الأخرى، يمكن القول إن الدراسات العربية المقدمة حول الخبر في السرد العربي القديم أصرت على مسألتين أساسيتين أولاهما تضارب مضمون الخبر بين الحقيقة والخيال، على أن معظمها تعاملت مع الخبر كمادة حقيقية دونت في موسوعات الأخبار أو حتى في كتب التاريخ كحادثة وقعت فعلا شخوصها وفضاءاتها حقيقية، كتلك التي وردت في كتاب الأغاني والفهرست وغيرهما، وكذا على أنه ينتمي إلى باب السرد العربي الذي تلاعبت به أيدي الرواة، وهذا الأمر يقود إلى المسألة الثانية ألا وهي كون الخبر أصلا للسرد العربي القديم، إذ إنه أخيرا عبارة عن منظومات خبرية كاذبة كانت أم حقيقية لا يهم، المهم أن انتظامها هذا استطاع أن يخلق الأنواع السردية المستحدثة فيما بعد التي بنيت على أساس خبري، وإن لم يكن الإخبار غايتها، لذلك يبدو أن هذه الدراسات أثارت الإشكالات ذاتها: المصطلح، الماهية، النوع، الطبيعة والغاية والأفق، ولم تستحدث أي إشكالات غيرها، على أن معالجة هذه الإشكالات اختلفت من دراسة لأخرى كونها كانت متعلقة بنصوص معينة .

مما يلاحظ أيضا على الدراسات العربية الحديثة المقدمة حول الخبر إغفالها أبرز الفروقات الماثلة بينه وبعض الأنواع التي توازيه أو تماثله في بعض الملامح، وهل الخبر أعم بحيث يمكن أن يتضمنها أم أنه يجب تصنيفها تصنيفا موازيا للخبر بوصفها أنواعا مستقلة.

تبرز ههنا بعض الأنواع التي خصتها بعض الدراسات بالتحليل دون تحديد لمثل تلك الفروقات، وتجدر الإشارة مثلا إلى النادرة والرؤى والمنامات وحكايات الأمثال (مورد المثل) وغيرها القائمة أيضا على مرجعية تمزج التاريخ بالتخييل من ناحية، وقاعدة خبرية من ناحية أخرى، فهل ينبغي تصنيف هذه الأنواع كأنواع فرعية تندرج ضمن الخبر الذي يكاد يكون كُلا مركبا على الرغم من بساطته الحدثية وإيجازه؟ .

الأمر الذي يدفع إلى طرح إشكال آخر حول كون هذا الخبر قاعدة استند إليها السرد العربي القديم، وكذا عن فاعليته وإمكانية انتظامه، هذا الإشكال يمكن طرحه من خلال البحث في أهم الأنواع السردية التي يمكن أن تندرج ضمن الخبر، وهل يمكن الحديث عن تداخل نوعي وأجناسي بين الخبر وأنواع أخرى سردية أو حتى مع الشعر (كون بعض الشعر يحمل أخبارا) في ظل هذا التعتيم الذي يميز الخبر؟.

لئن أمكن مقاربة الإشكال الثاني من خلال تداول مقولة أن الخبر في الأدب العربي ليس سوى إعادة صياغة التاريخ وإعطائه بعدا تخييليا، فيخرج هذا الخبر عن نمطيته وبساطته ليدخل ضمن أنماط وأنواع أخرى ، فإن مسألة الأنواع التي تنضوي تحته تظل رهنا لتلك الأنواع والنصوص التي تجسدها، ومدى تماثل أو اختلاف ملامحها سواء الموضوعية أم اللغوية عن الخبر.

- الخبر و محاولة إيجاد نموذج وظائفي :

لم تعن الدراسات العربية الحديثة بالبحث في بنية الخبر بوصفه نوعا سرديا مستقلا بقدر ما بحثت فيه بوصفه نوعا من السرد التاريخي الذي يحيل إلى حادثة معينة وقعت في التاريخ العربي، أي أن البحث في البعد التاريخي للخبر كان الأغلب عليها، على أنه يمكن القول إن البحث الجاد والكامل للخبر لم يكن إلا مع دراسة محمد القاضي له وما تلاها من بعض الأعمال العربية.

يبدو أن تحديد بنية الخبر من بين أبسط وأعقد المهام في الآن ذاته، كون هذا النص يتسم بالإيجاز والقصر، إذ إنه أحادي الحدث، يتقلص معه الزمن والشخوص والصيغة، لذلك ينطلق تحديد بنية الخبر من محاولة الإمساك بِسِمَات النص الخبري الخمس[14] :

-كونه بنية سردية بسيطة قوامها السهولة و الإيجاز . -تمركزه حول الحدث الواحد البسيط أيضا .

-كونه يدور خارج الزمان و المكان . -انفتاحه و قابليته للترهين و التحول .

-إيجازه و قلة تنوع صيغه الخطابية نظرا لتوحد الصوت فيه غالبا متمثلا في الصوت السارد .

لذلك تصر معظم الدراسات العربية الحديثة على تفصيل هذه البنيات الخمس، على أن كل بنية من هذه البنيات تتصل بالنص في حد ذاته وطبيعة الخبر الذي يحمله، وهل هذا الخبر فعلا مفرد آحاد أم أنه ينتمي إلى منظومة خبرية كاملة سواء تعلقت بأفراد معينين أم بظاهرة محددة* .

شغل البحث عن نموذج وظائفي يمكن أن يجمع نصوص الأخبار العربية وتحديدا تلك التي تنتمي إلى تيمة واحدة، يمكن من خلال هذا النموذج قراءة النوع كاملا. ولئن كانت فكرة إيجاد نموذج وظائفي فكرة غربية الأصول تعود أساسا إلى "فلاديمير بروب" (V.Propp)، إلا إن الناقد العربي حاول تجريب فاعليتها مع النص العربي "الخبر" كونه يتسم بالإيجاز والاختصار على غرار الحكاية العجيبة التي استند إليها بروب.

تأتي دراسة محمد القاضي للخبر في مقدمة الدراسات العربية المقدمة حول الخبر التي سعت إلى إيجاد هذا النموذج من خلال كتاب "الأغاني" وما تضمنه تحديدا من أخبار للعشاق، استند فيها القاضي أيضا إلى تحليلات بروب[15] .

ولئن لم يغفل النقد العربي الحديث في شقه التاريخي تحديدا النظر إلى أخبار العشاق التي لطالما حفلت بها كتب الأدب القديمة وحملت كثيرا منها بل وتنافست على نقلها، حيث نُظر إلى هذا الضرب من الخبر الذي برز منذ ما قبل الإسلام وتوسع نطاقه بعده على أنه نوع قصصي حمل حكاية حب ما، وقد سماه

محمود تيمور بـ "القصص العاطفي"[16]، وأشار إليه أحمد أمين تحت تسمية "أحاديث الهوى" ووضعها عنوانا لنوع قصصي ضمن مؤلفه "فجر الإسلام"، فالاهتمام النقدي بهذا النوع من الأخبار قديم جدا، وأن كتب الأدب والأخبار كالأغاني والبيان والتبيين حملت كثيرا من هذه النماذج[17]. وتحدث جواد علي عن هذه الظاهرة القصصية تحت العنوان نفسه "أحاديث الهوى والتشبب" مدرجا إياه ضمن باب للقص هو باب المجون والخلاعة، يقدم الشبان على سماعه وحتى كبار السن من باب الترويح[18]. أما محمد القاضي فقد سعى إلى الإحاطة بمختلف البنيات التي تجمع نصوص الأخبار كل حسب طبيعة وموضوع الخبر الذي يحمله*، حيث ميز بين أخبار البطولة وأخبار المغنين وأخبار المغامرة وغيرها..، وانطلق من فكرة الوظيفة التي أسس لها فلاديمير بروب، وسعى إلى الوصول إلى النماذج /الخطاطة الوظيفية التي تجمع بينها وتشترك فيها هذه الأخبار.على أن القاضي لم يلتزم بالخطاطة التي قدمها بروب المجسدة في الواحد وثلاثين وظيفة، بل أسّس وظائف جديدة انطلاقا من الأحداث التي حملها النص الخبري العربي[19] *. وإن كان محمد القاضي وفي ثنايا تحليله لا يشير إلى الأساس الذي استند إليه وتحديدا مفاهيم فلاديمير بروب، فإن تغييبه هذا التنظير إنما يحيل إلى أمر مهم آخر عدم التزامه ووفائه التام الكامل له، بل إنه كان دعامة فقط يمكن اختراقها وتكييفها مع النص الخبري العربي .

وعلى الرغم من أن القاضي لم يحدد ماهية المنهج الإنشائي أو ما قابله باللغة الأجنبية سوى أنه مثل للإنشائيين بتودورف، إلا أنه يبدو أنه عمد إلى طريقة بروب في البحث عن الوظائف المشتركة، ولعل أهم ما يلحظ في اعتماده هذه الطريقة السلاسة والحذر في التعامل مع النموذج ككل، إذ إن القاضي لم يستند إلى الخطاطة نفسها وإنما إلى الفكرة التي انطلق منها، لذلك اختلفت الوظائف اختلافا تاما عما قدمه بروب، فكان نموذجا وظائفيا خاصا بالنص الخبري العربي على الرغم من ضخامة المدونة وتعدد الروايات .

تتبع سعيد جبار نهج محمد القاضي في البحث عن هذه الخطاطة من خلال مؤلفات "ابن الجوزي" الخبرية التي اشتغل عليها، على أنه اختار بعض المتون

فحسب. وإذا كان القاضي قد ركز على مسألة الثابت في الأخبار العربية ومن ثم البحث عن الخطاطة الوظيفية الجامعة بينها، فإن سعيد جبار أضاف إلى مسألة الثوابت المتغيرات كذلك، والفكرة مستقاة أيضا من بحث بروب "مورفولوجيا الحكاية" حينما فصل بينهما محددا الثوابت (constants) في الوظائف التي تقوم بها الشخصية، والمتغيرات (variables) في الشخصيات والأسماء[20]، لذلك يبدو أن المرجعية –أو على الأقل الفكرة- المنطلق منها في العملين واحدة، أدّت في بعض من أجزاء عمل جبار إلى التوصل إلى النتائج نفسها التي توصل إليها القاضي .

شغل جبار نفسه بالمقابلة بينها وإحداث نوع من الإسقاط لنموذج وظائفي حدده بداية بالاستناد إلى نموذج كلود بريمون (C.Bremond) أقر فيه أن الفعل الحكائي قابل للتطور وفق لحظات ثلاث أساسية: هي الاحتمال، التحقيق، النتيجة، ووسّع جبار هذا النموذج وعدّل فيه وفق ما يقتضيه نص ابن الجوزي الخبري، حيث وجد أن النصوص التي عاينها تقوم على بنية حكائية تشمل أربع وظائف، على أن هذه الوظائف تقود إلى جانب من الثوابت في الأخبار العربية، يتجسد في الحكائية التي تجعل الأخبار أفعالا سردية، وتقود إلى المسار السردي الذي ينمو وفقه الخبر ويتطور.على أن الثوابت من وجهة نظر جبار تتجسد في أمرين أساسيين: الحكائية والنمطية، فإذا كانت الحكائية مرهونة بالمسار السردي وتحولاته ثم بفعله السردي، فإن النمطية متعلقة بطبيعة الخبر سواء أكان واقعا أم انحرف عن هذا التصور .

يحدد جبار الوظائف الأربع هذه في[21] :

1- الإثارة: وهي الفعل الذي ينفتح عليه الخبر، و هي الكفيلة بسيرورة مساره السردي، يتجلى على ثلاثة أشكال : وجدانية، حسية، عقلية.

2- الخرق: وهو ناتج عن الإثارة ما يجعله وظيفة حتمية .

3- الكشف: هو تحويل لنظام السرد، تتوصل إليه الشخصية الفاعلة وهي تخرق النظام المعروف.

4- الخلاص: نهاية الخبر، تُتِم هذه الوظيفة مضمونه وتوقف حدثه، على أن الخلاص يتجلى عادة في صورتين إما الجزاء أو العقاب

إن اقتصار الخبر على هذه الوظائف الأربعة فحسب راجع إلى امتيازه بالقصر والإيجاز، فالحدث الواحد يقتضي غالبا زمنا وفضاء واحدا وشخصيات محدودة، ما يقود إلى بنية حكائية وسردية بسيطة، ما يجعل الخبر في نظر جبار ينمو ويتطور أفقيا فحسب أي من حيث تعدد الأخبار أو الروايات الخاصة بالخبر الواحد، فهو تعدد نصي، دون أي تطور على مستوى البنية أو الصيغة.

الأمر الذي لم يحل إليه سعيد جبار* –أشار إليه محمد القاضي سابقا وغيره أيضا- هل أن اندماج هذا الخبر ضمن منظومة خبرية أكبر يخرجه من دائرة الخبر و يدخله ضمن نوع آخر، حتى يقف المتلقي على أرضية صلبة فيما يخص تحديدا إمكانية هذا التطور العمودي أم لا .

ما يميز عمل محمد القاضي، من ناحية أخرى، أيضا أنه وإن أصر على مسألة الوظيفة فإنه أقصى بعض المسائل الأخرى التي لفت الانتباه إليها من خلال تأصيله التاريخي، ومن هذه المسائل دور الراوي الذي أصر عليه في مسألة المشافهة والإسناد، وهذا تحديدا لأن الراوي في معظم الأخبار هو الصوت الوحيد الذي يتكلم، لذلك فأهمية عمله لا تكمن في النقل وإنما له أدوار أخرى* .

في حين أن ما يلحظ على دراسة سعيد جبار كثافتها المرجعية والإجرائية إلى درجة أن لكلّ إجراء مرجعيته الخاصة، فالتحليل الوظيفي استند فيه إلى مرجعية شكلانية، أما النمطية عاد فيها تأسيسات سعيد يقطين، وعاد في تحليله لمقصدية الخبر إلى تنظيرات غريماس ومحمد مفتاح ، .. إلخ. هذا التعدد المرجعي وإن كان يشتت المتلقي إلى حد ما لدراسة جبار، إلا أنه يحيل إلى أمر آخر هو أن لا مرجع يمكن أن يكون كافيا لقراءة نص ما أو مدونة كاملة، لذلك يستند جبار إلى ما يسميه البعض اللامنهج أو التعدد المنهجي والإجرائي لقراءة الخبر، مع مراعاة –في أحايين كثيرة- الخصوصية العربية لهذا النص، فكانت دراسته أيضا أقرب إلى الفسيفساء الإجرائية المتكاملة في بعض المواطن والمتنافرة في بعضها الآخر.

ما يلحظ من ناحية أخرى على دراسة جبار أيضا الاقتصار النصي الذي يتجلى من خلال التمثيل الذي يكتفي بخبرين أو ثلاث لدراسة الظاهرة الواحدة، ولعل هذا الاقتصار والاقتصاد لا يحيل إلى حد ما إلى ملامح الظاهرة الخبرية أو

خصائص النوع كاملا، على أن جبار لا يبرز من خلال تحليلاته أنه عاد إلى أخبار أخرى غير تلك التي مثّل بها .

في حين أن الأمثلة النصية في دراسة محمد القاضي تعددت وتنوعت، الأمر الذي يحيل إلى سعي من لدنه إلى إحداث نوع من الشمولية في البحث عن مختلف الظواهر التي تسم النص الخبري. وإن لم يكن هذا التعدد النصي في التمثيل معيارا في بعض الحالات، إلا أنه يضمن عناية أكبر بالنوع الذي لا يمكن أن تتجلى سماته وخواصه أحيانا حتى من خلال المؤلف الكامل الذي ينضوي تحته، وإنما من خلال مجموع متونه كلها، وإن كان في هذا بعض المبالغة وبخاصة مع السرد العربي القديم القائم عموما على هذه الخبرية، ما يجعل النوع إلى حد ما يتشظى بين مختلف الأنواع الأخرى .

اعتنى سعيد جبار بالتفصيلات والدقائق أكثر من عنايته بكبريات الإشكالات التي أثيرت في بعض الدراسات سابقا، حيث مكنته هذه العناية إلى الوصول إلى نتيجة فيما يخص فاعلية النوع الخبري وقدرته وإمكانيته على التحول وفقا لمقتضيات التلقي من ناحية، ومستجدات ومتطلبات البيئة والزمن الذي يتداول فيه، ثم خروجه من شكله البسيط إلى شكله المركب والمعقد وانضوائه تحت راية أنواع أخرى .

ولربما لهذا تحديدا، ولبحثها في نوع من الأنواع السردية التي قلما فصل النقد العربي الحديث والراهن في بنياتها، عُدَّت دراسة سعيد جبار ثاني أبرز وأهم دراسة عربية مقدمة في حقل الظاهرة الخبرية، الساعية إلى تأصيل مشروع نقدي حولها وإرسائه.

إن الوقوف على دراسة كدراسة محمد القاضي للأخبار العربية يستدعي العتماد على كثير من المعدات والخلفيات التاريخية والسوسيوثقافية والبنوية، كون أن متنا بهذه الغزارة -سواء المنهجية أو الإجرائية أو النصية (إشارة إلى المتن المدروس) إضافة إلى الأسبقية في قراءة هذا النوع- يسعى إلى إحداث نوع من التوفيق بين تاريخية الخبر وشفاهيته وسرديته ومحاولة إيجاد النموذج التحليلي الموحد بين نص أهم ما يميزه الإيجاز والاقتصاد ونقل الحادثة دون العناية في أحايين كثيرة بالصيغة ليس بالأمر الهين. بل إنه عمل وإن بدا تقنيا في بعض

جوانبه فإنه لا يخلو من تأويل عميق، قد يكفل لهذا النوع شيئا من الانسجام بين نصوصه التي تبعثرت في الثقافة العربية. على أن محمد القاضي عد عمله مدخلا فقط لهذا النوع يجمع بين البحث في أدبيته وعلاقاته الأخرى السردية أو الخارج سردية، على أن يفتح هذا العمل المجال لقراءات أخرى.

يبدو أن العناية بالخبر من الناحية البنيوية بعد دراسة محمد القاضي لم يتسع مجالها كثيرا، وإن تعددت القراءات العربية نسبيا إلا أنها تبعت قراءة القاضي في توجهه ولم تتخذ لنفسها شكلا ومنهجا قرائيا مختلفا. لذلك يبدو أن قراءة سعيد جبار انشقت من رحم قراءة محمد القاضي، كنوع من السيرورة العلمية في قراءة الخبر، والمعارضة في الآن ذاته لبعض المسائل التي طرحها، والتأكيد على البعض الآخر من خلال متن مختلف .

يصل قارئ الدراسات العربية المقدمة حول الخبر حديثا إلى مجموعة من الاستنتاجات تشكل في ذاتها إشكالات قد يقصر أي بحث مهما كانت شموليته عن الإجابة عنها. ولعل محمد القاضي أيضا لم يجب عنها على الرغم من ضخامة عمله وإنما قدمها في شكل فسيفساء من الآراء النقدية التي أثارها أيضا دون أن يفصل فيها.

- إن مفهوم الخبر من المفاهيم المضطربة إلى حد ما بسبب تداخلاته مع مفاهيم أخرى ، إذ يوجد البعد الخبري في كل الأنواع النثرية سردية كانت أم لا، لذلك عجز –إلى حد ما- الوعي الأجناسي العربي القديم والغربي الحديث عن تحديد طبيعة هذا النوع، فتقف كثير من الدراسات العربية الحديثة حائرة أمام بعض النصوص محاولة تحديد نوعها، هل فعلا خبر أم يوم عربي أم حكاية قصيرة أم خرافة أم أسطورة نظرا لأن ملامح الخبر عامة لم تتحدد .

- إن الاحتفاء بالوظيفة والتجديد فيها وتحديدها انطلاقا من النص العربي وإحداث المفارقة مع الأصل الغربي قد لا يحيل في أغلب الأحيان إلى خصوصية هذا النص، مادام أن هذا الإجراء يمكن أن يتكرر مع سياقات نوعية أخرى .

- إن إخضاع التراث الشفهي عموما للقاعدة أمر يظل نسبيا ومرهونا بأمرين: صلابة هذا المتن التي تتحدد من خلال تداوله عبر التاريخ شفويا أو مكتوبا لمدة طويلة، وكذا قلة أو تعدد الروايات الخاصة بالخبر الواحد، وهذه من أعقد

المسائل التي تصادف أي باحث يسعى إلى تقنين السرد العربي عموما المتوارث شفاهة، والخبر تحديدا.

و بهذا فإن المتأمل في الدراسات العربية الحديثة المقاربة للمتن الخبري بمصنفاته المختلفة يجد أنها تقف على مسائل معينة و محددة تكاد تكون مشتركة بينها جميعا، ألا وهي البحث في هذه العلاقة بين التاريخ والمتخيل في تجلياتها المختلفة: المؤلف، الإسناد، السياق الثقافي والتاريخي، أو البحث في النموذج الوظائفي الجامع بين الأخبار المنتمية إلى الموضوع أو المنظومة الواحدة، على أن هذا لا يقود إلى القول إن النص الخبري ليس بالنص الفني أو المتنوع أو ذي البنيات والجماليات و إنما الغاية التي وُضِع وتداول بين الرواة من أجلها ألا وهي الإبلاغ والإخبار والتوصيل هي التي جعلته نصا قصيرا ملخصا مقتضبا بسيط البنية مختزل الفعل، خاضعا لها أحيانا ومتمردا أخرى، على أن أمر الجمالية مرتبط أساسا با بالقيمة الخبرية التي يحملها.

الهوامش:

*** من الإشكالات التي تطرحها مسألة الخبرية بوصفها أهم الأنساق الثقافية التي تشكل السرد العربي القديم في ظلها تتعلق بالطرق الآخر من العملية الإبداعية لا بالنص، إذ إن السرد القديم وإن كان طلبيا في مجمل حالاته فهل كان الاستخبار الغاية الوحيدة التي سعى إليها المتلقي من خلال طلبه؟ يبدو أن هذا الاستخبار كان واحدة من مجموعة غايات سعى إليها المتلقي بالإضافة إلى المتعة والتسامر، لذلك يبدو أيضا أن هذه الإخبارية متعلقة في جانب منها بمسألة التلقي .**

[1] ينظر، الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، تح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1964 ، 143/1 .

[2] فاروق خورشيد، الرواية العربية عصر التجميع ، ص 34 ، 35 .

[3] ينظر، موسى سليمان ، الأدب القصصي عند العرب ، ص 30 وما بعدها .

ينظر، محمد رجب النجار، الشطار و العيارين ، حكايات في التراث العربي ، سلسلة عالم المعرفة ، [4]الكويت ، دت ، ص 05 .

فدوى مالطي دوغلاس ، بناء النص التراثي ،دراسات في الأدب و التراجم ، الهيئة المصرية العامة [5]للكتاب ، 1985 ، ص 30 .

*** لذلك يسمي الناقد راكان الصفدي مثلا هذا النوع من السرد بالقصص الواقعي مشيرا إلى أنه يتخذ لبوس "الخبر" فقط لأن العربي اتخذه قديما كنوع من التأريخ للحياة العربية، واصفا إياه بـ"الفن الأخطر" في السرد العربي، لما كان له من أثر في نشأة القصة العربية، ولهذا ميز بين الخبر**

القصصي والخبر التاريخي، فالقصصي يحيل إلى خبر متخيل والتاريخي إلى حادثة واقعة. ينظر، راكان الصفدي، الفن القصصي في النثر العربي، ص 188 و ما بعدها .

وإذا كان الناقد أحال إلى مسألة تاريخية الخبر في شق مما قدمه، إلا أن الاضطراب المصطلحي لازم تصوره ما يدفع إلى ضرورة تجاوز مثل هذه التعريفات -التي تبسط الفرق بين "الخبر" "القصص الواقعي" "السرد" "التخييل"، وأيها أعم وأيها يتضمن الآخر، وكيف ينبغي التعامل مع القصص الواقعي وهل يجب إدراجه ضمن باب السرد العربي أم يجب الاكتفاء بوجود بنية حكائية معينة- إلى تصورات أخرى تقدم الخبر من خلال أهم ملامحه و خصائصه .

[6] من هذه الدراسات :

لؤي حمزة عباس : بلاغة التزوير، فاعلية الإخبار في السرد العربي القديم ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2010 .=

=-ميساء سليمان الإبراهيم : البينة السردية في الإمتاع و المؤانسة ، الهيئة السورية العامة ، وزارة الثقافة ، دمشق 2011 .

- عبد الله إبراهيم : التلقي والسياقات الثقافية ، دار الكتاب الجديد، ط1 ، 2000 . على أن الناقد تجاوز هذا التأسيس للخبر كونه تحدث عنه كأصل للسرد العربي القديم في كتابه السردية العربية ، م س ، ص 33 و ما بعدها .

[7] ينظر، سعيد يقطين ، الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي ، ص 127 ومابعدها .

* حيث يشير يقطين إلى أن القول عادة ما يعبر عن تجربة أو حالة معينة أو تعليق يحيل إلى الزمن الحاضر، والصوت فيه مباشر فهو يؤخذ عن قائله، في حين أن الخبر أصغر وحدة حكائية، تحيل إلى الزمن الماضي والصوت فيه غير مباشر، فهو خطاب منقول. ينظر، سعيد يقطين، السرد العربي مفاهيم وتجليات ، ص 177 .

[8] ينظر، المرجع نفسه، ص 177 وما بعدها .

* في تصور سعيد جبار المستقى مما تداول في الثقافة العربية المعجمية والأدبية القديمة، أن القول هو الكلام عموما الذي يضم الشعر والنثر معا، وأما الإنشاد فهو يحيل إلى كل ما هو موسيقي إيقاعي، فهو دال على الشعر، لهذا لم يعرهما اهتماما واسعا، وتظل صيغتا الحديث والخبر المتداخلتين مدار اهتمامه، ولا يبتعد في التمييز بينهما عما قدمه يقطين من أن الحديث يحيل إلى الحاضر والجدة والقيام بالفعل والصوت المباشر، في حين أن الخبر متعلق بأمر انتهى في الماضي وتناقلته الروايات، ونظرا لمرجعية مصطلح الحديث الدينية كونه ارتبط بما ورد عن الرسول الكريم، فقد استبدل هذا المصطلح بمصطلح التقرير(commentaire) فقط لكونه يلتقي مع الحديث في الدلالة عن الحاضر والاتصال المباشر بالقائل والمتلقي. ينظر، سعيد جبار، الخبر في السرد العربي ، ص 95 ومابعدها .

[9] ينظر، المرجع نفسه ، ص 95 وما بعدها .

[10] ينظر، الخبر في السرد العربي ، ص 99 ، 100 .

* إن ما توصل إليه جبار أخيرا أن الخبر "نوع ثابت ونواة مركزية في كل عمل سردي وتطوره يجعله يتحول من شكله البسيط إلى شكل مركب أكثر تعقيدا وتفصيلا يفقده نسبيا خصوصياته النوعية ويدفعه بالضرورة إلى الاندماج في نوع آخر قد يكون قصة أو حكاية". الخبر في السرد العربي، ص 101. ولهذا يوجز جبار سمات الخبر في: وحدة الحدث وبساطته –ضيق الزمن وعدم تحوله- قلة الشخصيات وتباينها – هيمنة الخطاب المسرود (الصوت السارد) ينظر ، المرجع نفسه ، ص 100 وما بعدها .

ثم يطرح من موضع آخر مسألة عدم اكتماله حيث يقول"إن هذا الخبر يبدو محدودا نسبيا في بنيته الحكائية والسردية، فنهايته تحيل إلى بدايته بطريقة مباشرة وسريعة، وهذا الإيجاز يجعله ملتبسا غامضا غير مكتمل فيكون الإيحاء فيه هو السمة الغالبة عليه". سعيد جبار، التوالد السردي، قراءة في بعض أنساق النص التراثي، جذور للنشر، ط1 ، 2006 ، ص17 ، نقلا عن، عبد الواحد التهامي العلمي، قراءة السرد العربي القديم، وهم الممثلة ومبدأ المغايرة، دراسة في بعض النماذج، مجلة عالم الفكر، ع1 ، م41 ، 2012، ص 87 .

ينظر، لؤي حمزة عباس ، التطلع إلى النبوة ، دراسة في أخبار أمية بن أبي الصلت، مجلة آداب *البصرة ، ع44 ، 2008 ، ص23 .

[11] ينظر، لؤي حزة عباس، بلاغة التزوير، فاعلية الإخبار في السرد العربي القديم ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، 2010 ، ص 10 وما بعدها .

[12] ينظر، محمد القاضي ، الخبر في الأدب العربي، دراسة في السردية العربية، دار الغرب الإسلامي، كلية الآداب جامعة منوبة، بيروت، تونس، ط1 ، 1998 ، ص 70 وما بعدها.

[13] ينظر، الخبر في الأدب العربي ، ص 227 وما بعدها .

[14] ينظر، سعيد جبار، الخبر في السرد العربي ، ص 134 .

* مثلا كأن ينسب الخبر لشخص محدد : شاعر، أمير، وزير .. أو أن يخص ظاهرة معينة كالبخل والحب العذري أو التطفل .

[15] أبرز القاضي منذ مقدمته المنهج الذي استند إليه في تحليله ممثلا في التاريخي والإنشائي معا، على أن التاريخي تجلى من خلال تتبعه للظاهرة السردية والخبرية معا من فترة ما قبل الإسلام والتأصيل لها من خلال البحث في شرعية القول بوجود سرد ما قبل الإسلام من عدمها، على اعتبار أن الخبر مثّل مقوما لسرد هذه الفترة. وكذا الإنشائي (البنوية السردية) عادا إياه الوسيلة في تبين "المنطق الذي يحكم تسلسل الأخبار أو توالد بعضها من بعض، إذ هي أفصح في الدلالة على النسغ الذي يسري فيها وأصدق في الإشارة إلى الوشائج الخفية القائمة بينها". الخبر في الأدب العربي ، ص 07 .

[16] ينظر، محمود تيمور ، القصة الأدب العربي، م س ، ص 213 .

[17] ينظر، أحمد أمين، فجر الإسلام، يبحث في الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الأموية ، دار كلمات لترجمة و النشر، القاهرة، ط1 ، 2011 ، ص 78 .

[18] ينظر، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام /8 ، ص 373 ، 374 .

* ينبغي الإشارة هنا إلى أن محمد القاضي وهو يؤسس لمرجعيته النقدية التي استند إليها ممثلة في الإنشائية أو "شعرية السرد" انطلق من الفكرة التي قعّد لها توماشفسكي ومن بعده تودورف إلى أن أي محكي ينبغي دراسته وفق مستويين: مستوى القصة ومستوى الخطاب، ويدرس هو الخبر وفقهما. ينظر، الخبر في الأدب العربي ، ص 353 .

[19] ينظر ، الخبر في الأدب العربي ، ص 354 و ما بعدها ، لذلك نجد القاضي يحدد وظائف بعض الأخبار في : الطلب-التحويل-المخالف-العقاب-اللغز-البطولة-المغامرة.ويحدد وظائف أخبار المغنين في : التعارف-المصاحبة-المجلس-الغناء الأول-اللامبالاة-الغناء الثاني-الطرب-الانصراف .

* من المسائل التي أشار إليها القاضي هنا أيضا هي وجود الشعر في كثير من الأخبار العربية التي حملها كتاب الأغاني، بل إن بعضها ورد شعرا حتى أن الخبر فيه يكاد يكون أشبه بحل المنظوم أو تحويل الشعر نثرا أو كما يصفها "سردنة ما ورد شعرا" وهذه الظاهرة لا يقتصر عليها كتاب الأغاني بل على كل كتب الأخبار العربية. ينظر، المرجع نفسه، ص 377 وما بعدها .

[20] ينظر، فلاديمير بروب، مورفولوجيا القصة، م س، ص 35 وما بعدها.

[21] ينظر، الخبر في السرد العربي ، ص 156 و ما بعدها .

* على أن جبار أشار إلى هذه المسألة سابقا حينما رأى أن تطور الخبر "يجعله يتحول من شكله البسيط إلى شكل مركب أكثر تعقيدا وتفصيلا يفقده نسبيا خصوصياته النوعية ويدفعه بالضرورة إلى الاندماج في نوع آخر قد يكون قصة أو حكاية". المرجع نفسه، ص 101 .

* في دراسة أخرى لمحمد القاضي يصر على هذه الأدوار كثيرا ويربطها بكل بنية من بنيات النص الخبري. ينظر، محمد القاضي، أقنعة المتكلم في أدب الأخبار ، ضمن كتاب أعمال ملتقى المتكلم في السرد العربي القديم ، م س ، ص 13 .

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊